الوحدة الحضارية مابين ماري وشمال سورية

بقلم: الدكتور انطوان سليمان

لقد بدأت البعثة الفرنسية الأثرية بالكشف عن مدينة ماري منذ ٥٠ عاما . وهذا الاكتشاف ذو أهمية تاريخية وفنية حيث لايمكن غض النظر عنه مهما مضى عليه الزمن ، اذ تعتبر مكتشفات ماري مثالا على التطور الفني والاجتماعي الفعال في منطقة شمال بلاد مابين النهرين ، وعلى تطور سورية في عصر البرونز المبكر الرابع .

وما نعلمه على وجه التأكيد ، بأن سورية ليست بلد متخلف حضاريا ، فقد ساهمت بصورة مباشرة في تكوين وخلق حضارات الشرق القديم . وليس اكتشاف مملكة ماري البرهان الوحيد على تطور حضارة سورية القديمة ، فهناك مكتشفات اثرية عديدة وجديدة في منطقة شمال سورية تم الكشف عنها خلال السنوات الاخيرة ، كمملكة ايبلا في تل مرديخ التي تعتبر اهم اكتشاف تاريخي حدث حتى الان . ومما لاشك فيه ان كل اكتشاف اثري يحتاج الى دراسة الترتيب الزمني بدقة ، وتتكامل تدريجيا هذه الدراسة نتيجة معطيات مستجدة .

ان التنقيبات الحديثة قدمت موادا اثرية ساعدت على ضبط التاريخ الزمني للمواد الفنية والتاريخية التي هي على صلة بالثقافات والحضارات السابقة والايقلل من قيمة هذه المواد الفنية محاولة النظر في ترتيبها الزمني .

ولا بد ان نصل الى تحديد التعاقب المرحلي والانتماء الحضاري للمواد الاثرية حسب مناطق تطورها وهذه الضرورة قد نضجت في الوقت الحاضر وخاصة فيما يتعلق بمدينة ماري .

ان هذه الحضارة تحتاج الى بحث بعض المواضع التكميلية المتعلقة بالترتيب الزمني . لان التنقيبات الاثرية في تل مرديخ والانصاري - حلب ، وتل السلنكحية ، وتل الخويرة وتل أم المراة تؤكد على أهمية المعطيات الاثرية التي توضح العلاقة الحضارية مابين مناطق شمال سورية وماري .

وقد اكدت اعمال البعثة الفرنسية في تل الحريري على وجود طبقات حضارية تنتمي الى عصر البرونز المبكر والاوسط ، كما أشارت المعطيات المادية الاثرية الى وجود عهدين ، يختلف الاول عن الثاني . انحصر العهد الاول لمملكة ماري في الابنية الدينية وهي :

معابد عشتار ، عشتارات نيني زازا ونينهور ساغ ومعبد داغان واعتبر بارو ان اقدم المعابد معبد عشتار ، الذي يتألف من ست طبقات(١) A. B. C. D. E. F. وبالرغم من ان طبقة E. F. كانت فقيرة باللقي الفخارية فقد ارخ بارو تلك الطبقة في بداية الالف الثالثة قبل الميلاد معتمدا على مواصفات البقايا المعمارية مع العلم بأن معبد

١ _ I , A. Parrot , pp. 5 - 47 .
٢ _ I , A. Parrot , p. 7 .

عشتار يتألف من الطبقات A. B. C. D. حيث تم العثور في الطبقة D على مفاتيح ومسامير برونزية ، وفي الطبقة A على عدد من التماثيل الملكية وللمتعبدين للآلهة عشتار ، واسلوب النحت والكتابة المسمارية الذي اتصف باستخدام الفن السومري اتاح لنا امكانية التحدث عن صلة ثقافية مابين مملكة ماري والثقافة السومرية .

فلقد رأى بارو ان معبد عشتار ينتمي الى عهد ما قبل سرجون الاكادي لعدم وجود التأثير الثقافي الاكادي في الفنون الجميلة وطبقة الاختام والنقوش والكتابة ، مع العلم بأن الثقافة الاكادية قد انتشرت خلال عهد سرجون وخلفائه في بلاد مابين النهرين ومناطق شمال سورية خلال عام ٢٣٥٠ – ٢٢٠٠ ق.م الا أن بارو نسب الطبقة الاخيرة A من معبد عشتار الى عام ٢٤٥٠ ق.م اعتمادا على التماثيل ذات الكتابات المكرسة للآلهة .

توصل بارو الى معرفة سلالتين ملكيتين حكمتا مدينة ماري منذ بداية الالف الثالثة ٢٧٠٠ – ٢٤٥٠ قبل الميلاد . السلالة الثانية منهما حكمت اثناء عهد سرجون / ٢٤٥٠ – ٢٢٨٥ ق.م ، والسلالة الاولى مؤلفة من ٤ ملوك ايكوشمش ، لامجي ماري(٣) ، ايبلول ايل ايكو شماغان(٤) ، حيث تم العثور على تماثيل هؤلاء الملوك في الطبقة A من معبد عشتار ومعبد نيني زاز اونينهور ساغ .

لقد لاحظ بارو اثناء دراسته للاواني الفخارية عدم وجود اختلاف ذي شأن مابين الطبقات A. B. C. D نظرا للوحدة الثقافية فيما بينها ، علما ان الاواني الفخارية كانت متوضعة في القطاع السكني للمدينة وهي تعود الى عهد ما قبل سرجون .

اذا رأى بارو بأن بناء المعابد كان في عهد ازدهار مملكة ماري اي عهد ما قبل سرجون – مما دعا بارو الى تأريخ معبد نينهورساغ بعام ٢٣٠٠ – ٢٢٥٠ ق.م(٥) والذي يتوافق زمنيا مع طبقة A من معبد عشتار ومعابد عشتارات ونيني زازا. استنادا الى معطيات معبد عشتار والطبقات C. B. D. فان بارو يعيد العهد الاول لمملكة ماري الى عصر البرونز المبكر اي حوالي ٢٧٠٠ – ٢٤٥٠ ق.م ان تحديد التعاقب الزمني لمملكة ماري اصبح ضروريا بعد اكتشاف مملكة ايبلا والنصوص الاكادية والتي تتحدث عن حملة سرجون الاكادي وحفيده نارام سين على شمال بلاد ما بين النهرين وشمال سورية(٦) ودراسة التعاقب المرحلي لماري يوضح مدى ارتباطها مع بلاد مابين النهرين ، واستقلالها سياسيا وثقافيا .

واستنادا الى معطيات ارشيف ايبلا التي حوت رقما مسمارية بنصوص سياسية واقتصادية وتحدثت عن الحملة العسكرية على مدينة ماري وعن المعاهدة العسكرية والسياسية فيما بينهما .

يتضح لنا من الحملة العسكرية من مملكة ايبلا نحو مدينة ماري بقيادة أنا داغان ومن التقرير المرسل من قبل أنا داغان الى ملك ايبلا حول انتصاره على ايبلول ملك ماري . ان الملك الثاني من السلالة الثانية لماري / ايبلول ايل / عاصر ملك ايبلا اركب دامو(٧ ٨) .

اما النصوص الاكادية فتتحدث عن الحملة العدوانية التي قام بها الملك الاكادي نارام سين على مملكة ايبلا وشمال سورية عام ٢٢٥٠ ق.م والتي وضعت حدا نهائيا لمملكة ايبلا(٩) .

اذا فلقد تعرض معبد عشتار والمعابد الاخرى

٢ – I, P. 29.
٤ – I, P. 67.
٥ – 3, E. Porada - pp. 161 - 163, 173.
٦ – 4, M. Mallowan, Iraq, 1947. P. 27.

الى التدمير عام ٢٣٥٠ ق.م بمقارنتنا بين تاريخ نهاية مملكة ايبلا وحكم مختلف ملوكها . ويتضح لنا من محفوظات ارشيف ايبلا بأن انا داغان قائد جيش ايبلا اصبح ملكا « أو نائبا » على ماري وذلك بعد ان تم ابعاد الملك ايبلول ايل واحتلال مدينة ماري . ولابد لنا من القول بأن اناداغان غير تعاقب ملوك السلالة الثانية حيث نعتبر ايبلول ايل آخر ملوكها .

ان المسألة الاساسية التي امامنا هي معرفة الى اي زمن يعود تاريخ بناء معبد عشتار ؟ ومتى بدأت مملكة ماري في الظهور ؟

ان اعتماد علم المقارنة على المادة الفخارية كأساس لتحديد التأريخ النسبي وتعاقب المراحل قد جعل بارو يعتبر ان تجانس فخار ماري في طبقات (A. B. C. D.) هو البرهان على وجود حضارة واحدة وبما ان جميع الاواني الفخارية تحمل معها تقنية واحدة في مادتها وشكلها ونماذجها : وكذلك طبقات معبد عشتار الاربعة قريبة من بعضها البعض زمنيا لذا يمكن لنا ان نقول انها تعود الى عصر البرونز المبكر (ما قبل العهد السوري القديم) .

تمتاز الاواني الفخارية بلونها الاسود أو الرمادي او البرتقالي المصقول ، وبقاعدتها المحدبة او المسطحة وحافتها المنثنية والمرتدة نحو الخارج ، وهي عبارة عن مزهريات كروية الشكل وقوارير وكؤوس مخروطية الشكل(١٠) . وهذه الاواني الفخارية تتشابه مع فخار تل الخويرة وتل براك ومناطق شمال سورية . الا ان بارو قد اعطى تاريخا لها وهو بداية الالف الثالثة قبل الميلاد .

ويجدر بنا ان الكؤوس المخروطية الشكل في مدينة ماري تمتاز بضلوع دائرية متوازية على سطحها الداخلي والخارجي وهي ذات حافة منسابة الا ان قاعدتها مسطحة . ولقد استخدم في صناعتها الطين الناعم الخالي من الشوائب وهو ذو نوعية عالية جدا . وقد صنعت بواسطة العجلة الفخارية .

وكان انتشار هذا النوع من الكؤوس في شمال بلاد مابين النهرين (كيش ، تل براك ، شاغر بازار ، تل خويرة) وفي مناطق شمال سورية (سهل العمق ومجرى نهر العاصي ، ونهر الذهب ونهر قويق) . وهذا ما يدل على مدى التبادل الاقتصادي والسياسي فيما بينها .

ان اكثر الكؤوس تشابها من حيث طريقة صناعتها وشكلها هي ذات التربة السوداء او الرمادية اللون التي وجدت في ماري وتل براك والتي تتشابه كذلك مع كؤوس كيش وتل خويره(١١) وممباقة ومستوطنة الانصاري — حلب(١٢) من طبقات عصر البرونز الرابع . فلقد أرخ علماء الاثار كؤوس تل براك وكيش وتل خويره وكؤوس مناطق شمال سورية منتصف الالف الثالث قبل الميلاد اي عام ٢٤٠٠ — ٢٢٠٠ ق.م(١٣) .

---

٧ _ 5, P. Mattiae ; P 182 .
٨ _ 5 , PP. 186 - 188 .
٩ _ 5 , PP. 189 - 191 .
١٠ _ I , P. P. 208 - 210 , fig . 100 n 379 .
17, P. P. 4 - 5 , Pl . IIn 4 , tombeau 300 .
١١ _ 14 - H. kuhne , Tafel , 4 I , n 1 - 2 , Abb 14 - 15 , 84 .
١٢ _ 10 , A. Souleiman , musée d'Alep .
19 , C. Schaeffer , p. 200 , fig . I , n 24 .
١٣ _ 15 , M. Mallowan , Iraq , VIII , P. P. 138 - 139 .

تتصف الكؤوس بما فيها كؤوس ماري في كل المناطق الشمالية من بلاد مابين النهرين وسورية بتقنية واحدة ونوعية عالية سيما شكلها المخروطي مما يدعو الى الاعتقاد بأن هذه الكؤوس تحمل معها مراسيم معينة او هي على صلة بنظرة طقسية دينية معينة .. اذا لابد من ان تكون تلك الكؤوس ذات مصدر حضاري واحد أدى الى التأثير على المناطق المجاورة له ، وبما ان كؤوس ماري تتشابه مع كؤوس منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد في مناطق شمال سورية وعلى مجرى نهر العاصي ، فان ظهورها كان نتيجة تطور تقاليد حضارية واحدة ، لاسيما ان الفرق الزمني فيما بينها ليس كبيرا .

ونلاحظ ايضا بأن هناك كؤوسا تحمل على سطحها اشرطة دائرية ذات لون اسود ومثل هذه النماذج نصادفها في كؤوس حماه(١٤) ومشرفة قطنا(١٥) .

ان علم التصنيف الفخاري يشير الى تشابه كؤوس شمال بلاد مابين النهرين والى امكانية ارجاع ظهور كؤوس ماري وتل براك والانصاري وتل الخويرة ومشرفة قطنا وحماه لعصر ما قبل العهد السوري القديم اي لحضارة مملكة ايبلا ومن ثم عهد الدولة الاكادية .

والقد تم العثور ايضا على نوع آخر من الاواني الفخارية وهي على شكل مزهريات (فازة) سوداء او رمادية اللون مصقولة وذات شكل كروي وقاعدة مدببة وحافتها مرتدة نحو الخارج ويتراوح ارتفاعها مابين (٥ — ١١)(١٦) .

وهناك ايضا نوع من القوارير المصقولة ذات القاعدة المحدبة المدببة ، وهذه القوارير مفلطحة او كروية الشكل ذات التربة السوداء او الرمادية اللون تماثل المزهريات من حيث طريقة صنعها ونوعية طينها(١٧) .

نصادف تلك المزهريات والقوارير في حفريات تل براك وتل العمارنة وتل الخويرة وكانت القوارير اكثر انتشارا في مواقع شمال سورية (على مجرى نهر الفرات الاعلى ومجرى نهر القويق) وخاصة في عهد الدولة الاكادية وهي تل السلنكحية. ٢٣٠٠ ق.م وعين عسان ومستوطنة الانصاري — حلب وتل تينات (سهل العمق) وفي المقبرة التي تم العثور عليها مؤخرا في مدينة سراقب .

وثمة نوع من الاباريق يطلق عليه تسمية الابريق ذي الميزابة الطويلة وهو يشبه ابريق الشاي الحالي الا ان فوهته واسعة الشكل وقاعدته مسطحة ويعود الى المنتصف الثاني من الالف الثالثة ، وتواجده في ماري دليل على التبادل الثقافي مابين الحضارات في ذلك الحين ، مع العلم بأن هذا النوع كان منتشرا في مواقع فلسطين وشمال سورية .

الا ان البروفسور بارو قد ارخ تلك الانواع الفخارية التي وجدت في ماري في بداية الالف الثالثة قبل الميلاد — مع انها تحمل مزايا مشتركة مع فخار تل براك الطبقة الاكادية وتل خويره وتل العمارنة وتل السلنكحية وتل عين عسان والانصاري طبقة عصر البرونز الرابع A ومشرفة قطنا وحماه J 8-6 وفخار المواقع التي هي تحت حكم مملكة ايبلا مباشرة وبالتالي يمكننا ارجاع هذه المجموعة الفخارية الى عصر واحد وحضارة واحدة بينما ارخ بارو معبد عشتار في بداية الالف الثالثة قبل الميلاد .

---

١٤ — 16, H. Ingholt, p. 40 - pl. VIII, 3 - 4.
١٥ — 7, R. du Mesnil du Buisson, p. 157, pl. XLVII, In9I.
١٦ — I, fig. 100, 101, n 58, 686, 687.
14, Tafel - 41, nn 5 - 6.
١٧ — 14, Tafel, 42, n 1 - 7, Abb. C, n 1 - 10.

مهمتي ليست تحديد التاريخ المطلق لتلك الحضارة بل اريد ان اقول بأن حضارة مملكة ايبلا وماري قد بدا ظهورهما وتطورهما في عصر واحد . واذا حكمنا على هذ التاريخ الذي اعطاه بارو بمقتضى المادة الفخارية ، فمن الضروري تأريخ معابد نيين زازا وعشتارات ونينهورساغ على حد سواء مع معبد عشتار . وبمعنى آخر ان طبقات معبد عشتار من (A. B. C. D.) تحمل نفس تاريخ الطبقة الاكادية في تل براك وتل الخويرة وتل السلنكحية وطبقة عصر البرونز المبكر الرابع في مستوطنة الانصاري - وحماة والقصر الملكي في ايبلا وارشيفها ، ولابد لنا أن نقول بأن هذا التاريخ يعود الى ٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م .

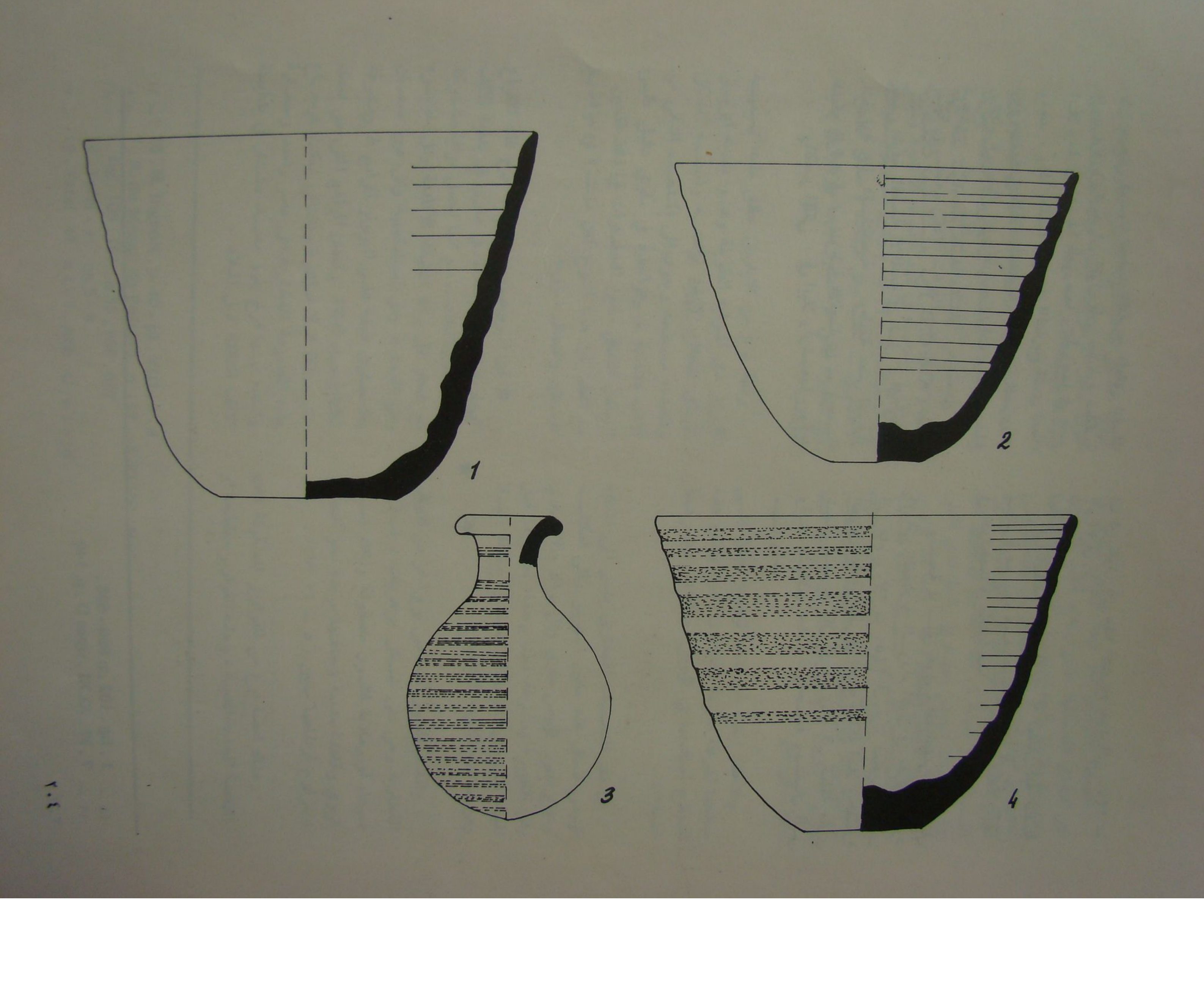
اما الطبقة E. F اللتان لا تملكان اية صلة مباشرة مع بناء معبد عشتار فاننا لا نرى سببا في ادراجهما في بحثنا هذا .

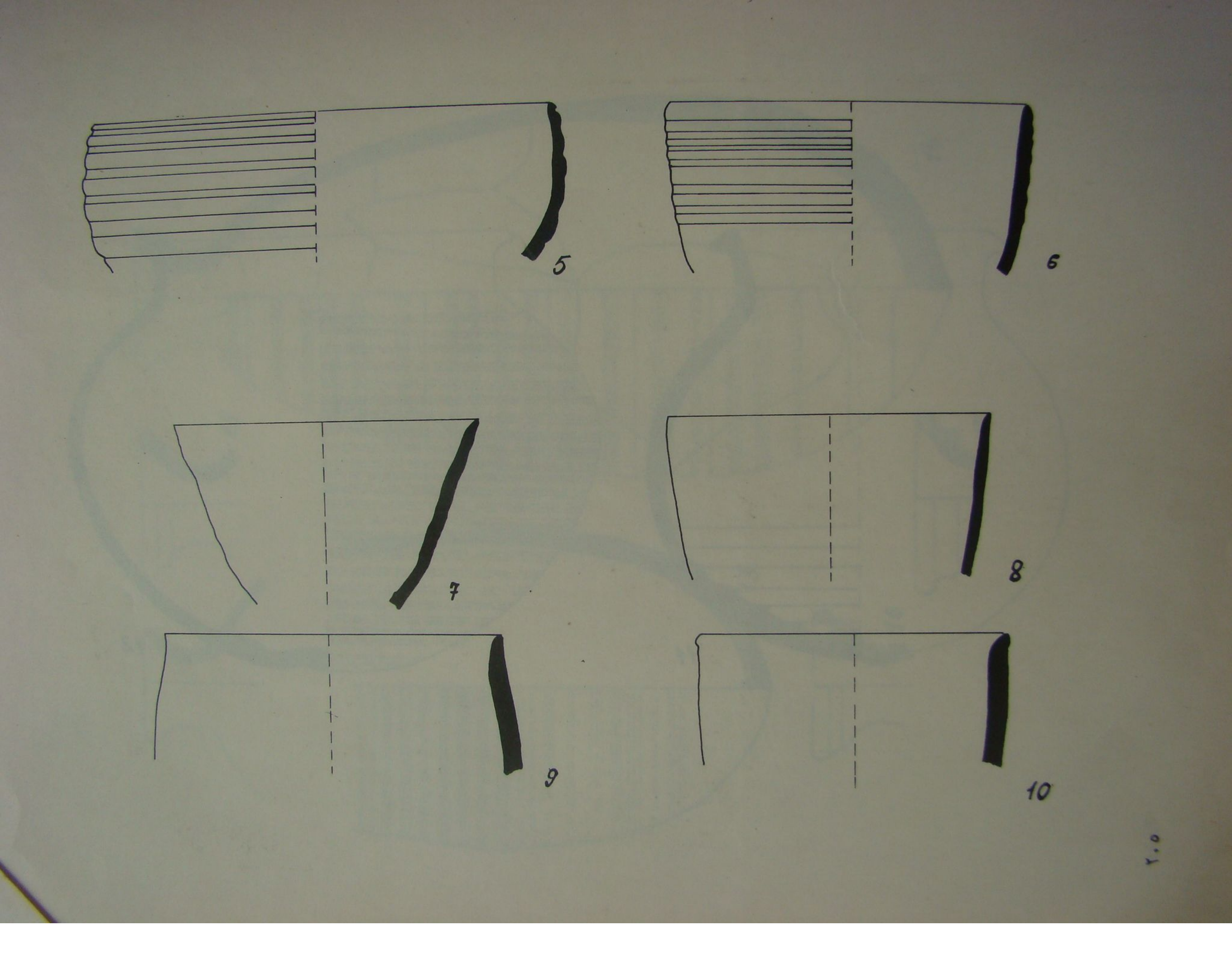
ونتيجة لما سبق نقول : اذا اعتبرنا ان كل الاواني الفخارية السوداء اللون في ماري تعود الى عام ٢٧٠٠ - ٢٤٥٠ ق.م ، فنحن ملتزمون اذن في اعادة النظر في تأريخ مملكة ايبلا وحضارة شمال سورية ككل أو ماري ، لان مملكة ماري وايبلا تشكلان حضارة واحدة وينتميان الى منشأ واحد .

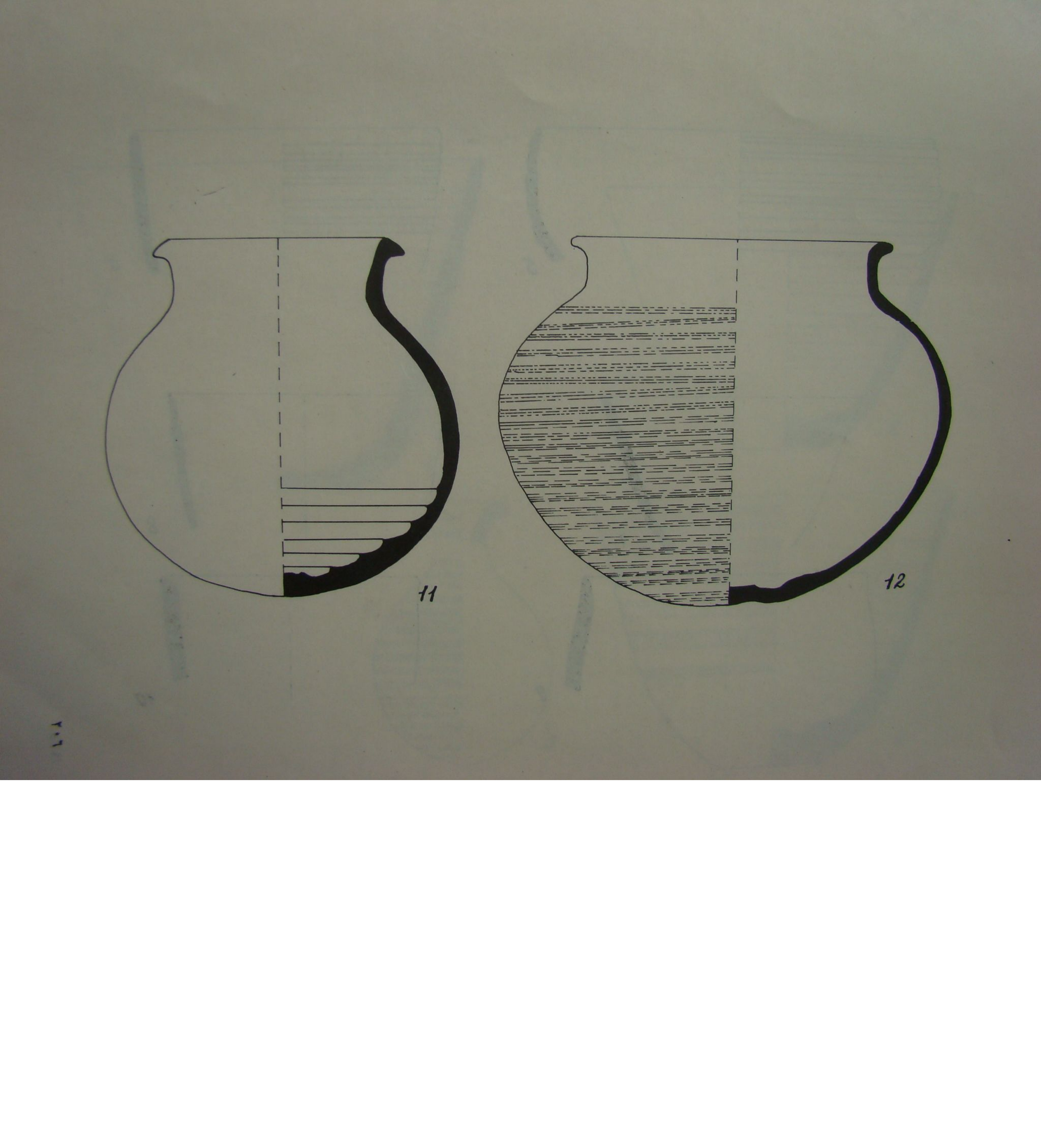
★ ★ ★

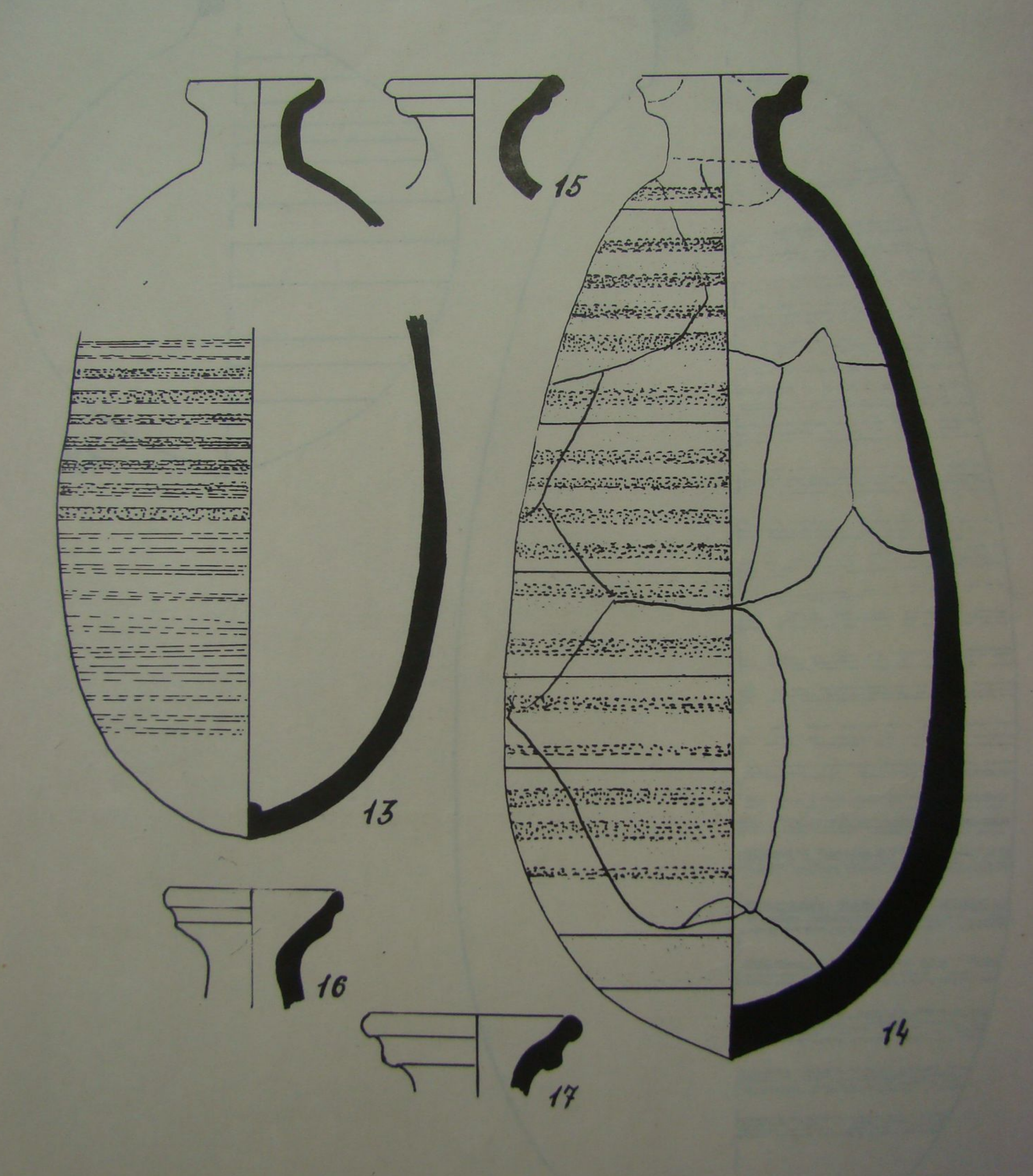
---

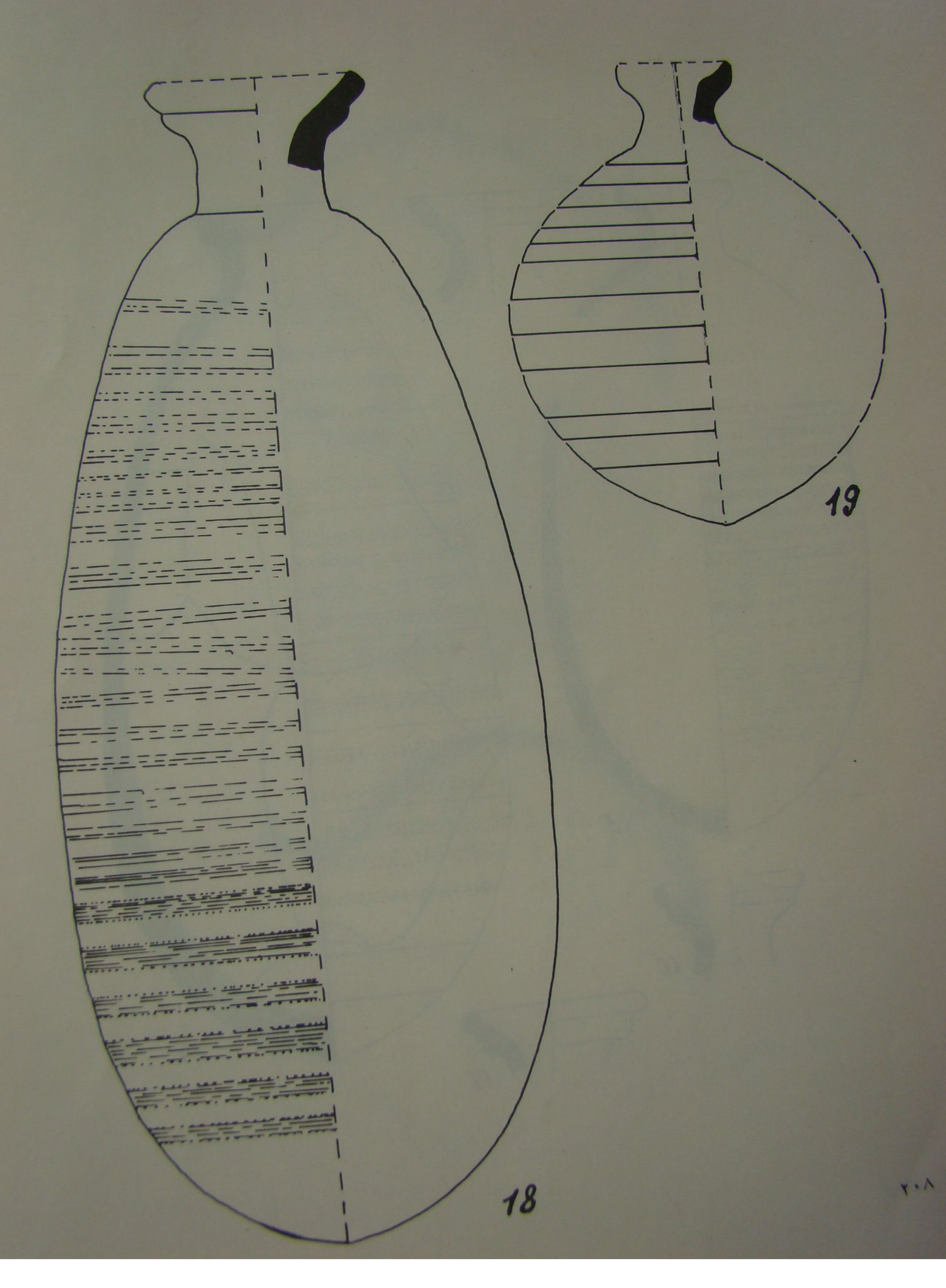
١٨ - 1 , fig . 102 , n 696 - 698 .
١٩ - 7 , Pl . XLXI , tipes D , p. 149 .


1
2
3
4


5
6
7
8
9
10


11
12


15
13
14
16
17


19
18

CATALOQUE DE LA CERAMIQUE

1 . Tell brak : gobelet , terre grise , Agade .

2 , 4 . Mari : gobelets , terre orange , tombeau 300 . Epoque Présargonique .

3 . Mari : bouteille terre noire . Epoque présargonique .

5 . Ansari : gobelet , terre noire . Epoque d'Agade .

6 . Ansari : gobelet terre noire . Epoque d'Agade .

7 - 8 . Ansari : gobelets , terre grise . Epoque d'Agade .

9 - 10 . Ansari : gobelets , terre beige . Epoque d'Agade .

11 . Tell Brak : vase , noire . EDIII (2500 - 2400 ca) .

12 . Mari : vase , terre noire , lustrée . Epoque présargonique .

13 . Ansari : boutèille , terre grise , lustrée , tombeau . Epoque. Agade .

14 . Ansari : bouteille , terre noire , lustrée , tombeau . Epoque d'Agade .

15 - 17 . Ansari : bord bouteilles , terre noire , lustrée , Epoque d'Agade .

18 . Saragib : bouteille , terre , tombeau , lustrée . tombeau . 2200 CA .

19 . Saragib : bouteille , terre noire , tombeau . 2200 ca .

BIBLIOGRAPHIE

1 - André Parrot. Le Temple D'Ishtar : Mission archeologique de Mari , tome I , Paris 1956 .

2 - André Parrot . Mari , Capitale fabuleuse .

3 - Ed. Porada . The Relative chronology of Mesopotamia , Part 1 : Relative chronologies in old world Archaeology . Chicago - London 1964 .

4 - M. E. L. Mallowan . Brak and chagar Bazar : Their contribution to Archaeology : Iraq , vol . IX , 1947 .

5 - P. Mattiae . Ebla , un impero ritrovato , Torino , 1977 .

6 - E. Fugmann . L'architecture des periodes prehllenistiques : Hama . Fouilles et recherches de la fondation carlsberg 1931 - 1938 , kobenhavn , 1958 .

7 - R. du Mesnil du Buisson . Le site archeologique de Mishrifé-Qatna . Paris , 1935 .

8 - R. du MESNIL du Buisson . Souran et tell Masin : Berytus . Archeological studies , American university of Beirut . Tome II , Berytus , 1935 .

9 - Ain - Assan : musée natonal d'Alep .

10 - Ansari : musée national d'Alep .

11 - M. V. Seton - williams . Preliminary report on the excavation at tell Rifa , at : Iraq , vol . 23 , 1961 .

12 - J. Matthers . The River Qoueiq , Northern Syria , and its Catchment . Syudies arising from the tell Rifa , at . survey 1977 - 79 . Part II BAR International Series 98 (II) , 1981.

13 - R. J. Braidwood and L. S. Braidwood . The arlier assemblages phases AExcavations in the plain of Antioch : the Nuiversity of chicago oriental Institute Publicatoin , vol . LXI . Chicago 1960 .

14 - Hartmut kühne . die keramik vom tell chuèra . Berlin ,1976.

15 - M. E. L. Mallovan . Excavation in the Balih vlley , 1938 : Iraq , vol . VIII , 1949 .

16 - H. Ingholt . rapport preliminaire sur sept campagn de fouilles a Hama on syria (1932 - 1938) . kobenhavn , 1940 .

17 - André Parrot . les fouilles de Mari . Quatrièma campagne (hiver 1936 - 1937) : Syria . Revue d'art oriental et d'archeologie . Tom , XIX . Paris 1938 .

18 - Tell salankahie : musée natonal d'Alep .

19 - C. F. Schaeffer . Sondages effectués par M. Mallowan dans les tells de la vallee du Balikh .